بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

حين اطلعت فى دار الكتب المصرية على مخطوطة : «كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسِّير» لابن عبد البرِّ، ووجدت الزَّبيدى اللغوى تملَّكها ووقفها مع ما وقفه من الكتب لانتفاع طلاب العلم بها . وليس ذلك فحسب ، فقد وجدت عليها تعليقات للعلامة المؤرخ شمس الدين السخاوى ، حينئذ عرفت أنها مخطوطة نفيسة . وحاولت أن أجد من الكتاب مخطوطة أو مخطوطات أخرى للمقابلة ، ولم يُكتب لى الظفر بشىء من ذلك فاكتفيت بأن المخطوطة موثقة ومضيت أحققها وأعدُّها للنشر ، مستعيناً بما وجدته من الأصول التى ذكرها ابن عبد البر فى الكتاب . وأيضًا من الفروع التى استمدَّت منه ونقلت عنه ، وقد بسطت القول فى ذلك بمقدمة الطبعة الأولى .

ونشرت الكتاب – بتحقيق – لجنةُ إحياء التُّراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى سنة ١٣٨٦ للهجرة ، ولم تكد تدخل سنة ١٣٩٠ حتى كانت قد نفدت تلك النشرة . ولم يلبث معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أن عثر على مخطوطة منه فى الخزانة العامة بالرباط ، وبادر إلى تصويرها . وصوَّرها لى مشكورًا . ووجدتها مخطوطة متأخرة ربما رجعت إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهى بخط مغربى وغير موثقة ، وبها بياض فى غير ورقة وهو واضح فى ظهر الورقة الأولى المصورة فى هذه الطبعة الثانية ، وبها ما لا يكاد يُحْصَى من التصحيفات وسواقط الكلمات ، ولم أر إثبات ذلك فى الهوامش ، إذ ليس فى إثباته فائدة . ويتضح من مقدمتها أنها ترجع إلى أم أخرى غير أم المخطوطة الموثقة التى نشرتها فى الطبعة الأولى ، وأيضًا فإنها تختلف عنها بزيادات قليلة رأيت إثباتها ، كما أثبت منها بعض تصحيحات قليلة . ورمزت إلى تلك النسخة فى الهوامش بالحرف (ر) .

وكنت قد لاحظت فى المخطوطة الموثقة التى نشرتها أنه تتردد فى بعض صفحاتها كلمة « قلت » ويليها تعقيبات على كلام ابن عبد البر . وقد توضع مكان كلمة « قلت » كلمة

« فائدة » أو كلمة « ههنا لطيفة » . وذُكر التعقيب فى أمكنة قليلة بدون إشارة تسبقه تدل على أوله ، غير أنه كان يُعلن دائماً عن نفسه بما ينتهى به من العلامات الدالة على انتهاء التعقيب مثل : « عاد الكلام » أو « يرجع الكلام » أو « والله أعلم » أو والحمد لله » أو « وبالله التوفيق » . وذكرت فى مقدمة الطبعة الأولى أن هذه التعقيبات إما أنها كانت مكتوبة على هامش الأصل الذى نقلت عنه المخطوطة وأدمجها فيها الناسخ لها ، وإما أن يكون الناسخ هو العالم الدينى الذى أضاف تلك التعقيبات .

وكثيرًا ما خشيت أن يكون تقديرى لبدء هذه التعقيبات ونهايتها غير دقيق ، إذ كنت رأيت فصْلها عن الكتاب ووَضْعها فى هوامشه ، حتى أُعيد إليه نسقه الذى صاغه به ابن عبد البرّ . وحين عرضت صنيعى على النسخة الجديدة وجدتنى مصيبًا فيما عدا مواضع قليلة ظننت فيها أحياناً أن التعقيب من مَتْن الكتاب ، أو أنه ليس من متنه . وبالمعارضة على المخطوطة الجديدة رُدَّ الكتاب فى تلك المواضع إلى نسقه . وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب .

شوقى ضيف

القاهرة فى أول شعبان سنة ١٤٠٣ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

١

المؤلف

مؤلف هذه السيرة النبويّة هو أبو عمر يوسف[١] بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النَّمَرى ، وُلد بقرطبة فى يوم الجمعة لخمس بَقين من ربيع الأوّل سنة ثمان وستين وثلثمائة ، ونشأ فى بيت علم ، إذ كان أبوه من فقهاء قرطبة ومحدِّثيها ، وقد وجَّهه منذ نعومة أظفاره إلى الدراسات الدينية . وتوفِّى وابنه فى الثالثة عشرة من عمره ، فدأب على الدَّرْس من بعده والسماع من جِلَّة العلماء أمثال أبى عمر المكُوْى ، وابن الفَرَضىّ ، وعبد الوارث ابن سفيان ، وخلف بن قاسم ، وأبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وسعيد بن نصر ، ومحمد بن إبراهيم بن سليمان ، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التَّاهَرْتى ، وأحمد ابن محمد بن أحمد بن الجسور ، وأبى عمر الباجى ، وغيرهم من أعلام الفقه والحديث والتاريخ والمغازى والأخبار والأنساب .

وما نكاد نتقدم فى القرن الخامس الهجرى حتى يلمع اسمه بين نابهى العلماء بقرطبة ، وسرعان ما تفسد الحياة فيها وتشتعل الفتن ، ويأخذ صَرْحُ الدولة الأموية بها فى الانقضاض ، وتقوم على أنقاضه إمارات ملوك الطوائف المعروفين فى الأندلس ، إذ تستقل كل بلدة كبيرة بإمارة وأمير . وطالت الفتن بقرطبة ، فهجرها كثير من علمائها ، وشجَّعهم على الهجرة منها الأمراء الجدد ، إذ مضوا يتنافسون فى جمع العلماء والأدباء والشعراء بإماراتهم أو بلدانهم ، وارتحل فيمن ارتحلوا عن قرطبة أبو عمر بن عبد البر ميمِّمًا بطليوس

---

(١) انظر فى ابن عبد البر جذوة المقتبس للحميدى (طبع القاهرة) ص ٣٤٤ ، وابن بشكوال فى الصلة (طبعة القاهرة) ص ٦١٦ ، والضبى فى بغية الملتمس ص ٤٧٤ ، والفتح بن خاقان فى المطمح ص ٦١ ، والمغرب لابن سعيد (طبع دار المعارف) ٤٠٧/٢ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦٦/٧ وابن فرحون فى الديباج المذهب (الطبعة الأولى بالقاهرة) ص ٣٥٧ ، والعماد فى شذرات الذهب ٣٤٤/٣ وتذكرة الحفاظ للذهبى (طبع حيدر أباد) ٣٠٦/٣ ، ومرآة الجنان ٨٩/٣ ، والعبر فى خبر من غبر (طبعة الكويت) ٢٥٥/٣ .

فى غربى الأندلس ، حيث أمراؤها بنو الأفطس ، وما كاد يستقر فى حاضرتهم حتى أكرموه غاية الإكرام ، وولّوه القضاء فى بلدتى أشبونة وشنترين من بلدان إمارتهم . ويتحول إلى شرقى الأندلس وينزل بلنسية ودانية ، وربما كان مما حبّبه فى الأخيرة مجاهد الذى كان يمسك بمقاليد الحكم فيها ، فقد كان مشاركاً فى علوم القرآن والحديث كما «كان محبًّا للعلماء محسنًا لهم حتى عُرف بذلك بلده وقُصد من كل مكان».وكان لابن عبد البر ابن أديب وكاتب بليغ ، فوظّفه مجاهد فى دواوينه ، حتى إذا توفّى اتخذه ابنه على (٤٣٦ – ٤٦٨ هـ) رئيسًا لدواوينه وكتّابه . وحدث أن صَدر عنه برسالة إلى المعتضد صاحب إشبيلية (٤٣٦ – ٤٦١ هـ) وبدلاً من أن يتلقاه لقاء حسنًا حبسه فى سجنه ، مما جعل أباه يقصده مستعطفًا بمثل قوله :

قصدتُ إليك من شرقِ لغَرْبٍ ... لتُبْصر مُقْلَتى ما حَلَّ سَمْعى
وتعطفك المكارمُ نحو اصْلٍ ... دعاكم راغبًا فى خيرِ فَرْع
فإن جُدْتُم به من بعد عَفْوٍ ... فليس الفضل عندكُمُ ببِدْع

وسرعان ما ردَّ المعتضد إلى ابنه حريته وعاد إلى دانية . ولبّى الابن نداء ربه فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، ولعل ذلك هو الذى جعل أباه يتحول عن دانية إلى شاطبة ، وبها يسلم روحه إلى بارئه فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمسة وتسعين عاماً .

وهذه السِّنُّ العالية جعلت ابن عبد البر كما شهد موت ابنه يشهد ويسمع عن موت كثيرين من تلاميذه مثل ابن حزم . وكان يصغره بنحو عشرين عاما ، وتوفّى قبله بنحو سبعة أعوام . وكان يجنح فى باكورة حياته إلى مذهب الظاهرية أتباع داود بن على الأصبهانى الذى كان ينكر الرأى فى الفقه والتشريع ويبنى أحكامه على ظاهر الآيات القرآنية والسُّنّة النبوية . على أنه لم يلبث أن انتظم فيما انتظم فيه جمهور أساتذته وأهل موطنه من اعتناق مذهب مالك بن أنس . وكان فيه اعتدال جعله يميل إلى بعض آراء الشافعى الفقهية . وكأنه لم يكن يعرف التعصب والتحيز إنما يعرف الحقَّ ويطلبه ، فإذا استبان له انقاد راضيًا .

ويُجْمع من ترجموا له على الإشادة بعلمه وروايته الغزيرة للحديث النبوى ، وفيه يقول الحُمَيْدى تلميذه : « فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف فى الفقه وبعلوم

الحديث والرجال ، قديم السماع كثير الشيوخ » ويقول أبو الوليد الباجى : « لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر بن عبد البر فى الحديث » ويقول ابن بشكوال : « إمام عصره وواحد دهره .. دأب فى طلب العلم وافتنَّ فيه وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس » ويقول ابن سعيد نقلا عن الحِجارى : « إمامُ الأندلس فى علم الشريعة ورواية الحديث ، لا أستثنى من أحد ، وحافظها الذى حاز خَصْل السَّبْق واستولى على غاية الأمد ، وانظر إلى آثاره ، تُغْنك عن أخباره » .

وقد سمع منه عالم عظيم حملوا عنه مصنفاته التى طارت شهرتها فى عصره وبعد عصره ، منها فى الفقه والحديث كتاب « التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد » وفيه يقول ابن حزم : « لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ؟ ! » . وفى دار الكتب المصرية قطعة من هذا الكتاب ، وقد اختصره ابن عبد البر فى كتاب سمّاه « التقصّى لما فى الموطأ من حديث رسول الله ﷺ » . ومن كتبه فى الفقه والحديث أيضا : « الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار مما رسمه الإمام مالك فى الموطأ من معانى الرأى والآثار » نُشِر منه بالقاهرة جزآن بتحقيق الأستاذ على النجدى . وقد عاد فاختصره فى كتاب دعاه : « الكافى فى الفقه على مذهب أهل المدينة » . ومن كتبه فى الفقه : « اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه » . ومن كتبه فى القراءات وعلوم القرآن : « البيان عن تلاوة القرآن » و« التجويد والمدخل إلى العلم بالتحديد » و« الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه » . ومن كتبه « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » وقد اختصره أحمد عمر المحمصانى البيروتى ونُشر فى مجلد لطيف . وألف فى السيرة النبوية كتابه الذى ننشره : « الدُّرر فى اختصار المغازى والسِّير » وعُنى بسير مالك والشافعى وأبى حنيفة وصنَّف فيها « الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » وهو مطبوع . وألف فى الصحابة كتابه الضخم « الاستيعاب » استقصى فيه أسماء المذكورين منهم فى الروايات والأخبار وعرَّف بهم ولخَّص أحوالهم وأخبارهم مرتبًا لهم على حروف المعجم ، وهو مطبوع . ومن كتبه « القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم » و« الإنباه على قبائل الرواه » وهما مطبوعان معًا . وكانت فيه نزعة أدبية جعلته ينظم الشعر من حين إلى حين ، كما جعلته يؤلف كتابه « بهجة المجالس وأنس المُجالس » للمظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ، وهو مختارات

من غرر الأبيات ونوادر الحكايات الدالة على مكارم الأخلاق ، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق الأستاذ الخولى وينهى ابن بشكوال حديثه عن مصنفاته بقوله : «كان موفقًا فى التأليف معانًا عليه ونفع الله بتواليفه ، وكان مع تقدمه فى علم الأثر ، وبصره بالفقه ومعانى الحديث ، له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر» .

٢

مصادر «الدرر فى اختصار المغازى والسير»

ذكر ابن عبد البر فى خطبة هذا الكتاب أنه أفرده لسائر خبر رسول الله ﷺ فى مبعثه وأوقاته معتمدًا على كتابى موسى بن عقبة فى المغازى ، وكتاب محمد بن إسحق فى السيرة النبوية ، ومعروف أن أولهما توفى سنة ١٤١ للهجرة ، فى حين توفى الثانى سنة ١٥٠ أو ١٥١ فى بعض الروايات . وظل كتاباهما المصدرين الأساسيين لسيرة الرسول ﷺ ، على مدى العصور التالية ، يرجع إليهما المصنفون والمؤلفون للسيرة الزكية ، حتى إذا طال بهما العُمُر سقطا من يد الزمن كما سقط كثير من المصنفات القديمة ، إلا قطعة من سيرة ابن إسحق لا تزال باقية بمكتبة الرباط ، وإلا رواية ابن هشام لها ، وهى ليست رواية تامة إنما هى تهذيب وتنقيح لها واختصار ، ولم يَرْوها عن ابن إسحق مباشرة ، إنما رواها عن تلميذه زياد بن عبد الله البكَّائى ، وقد طُبعت فى عصرنا مرارًا .

ويقول ابن عبد البر : إنه اختصر سيرته من كتاب ابن إسحق رواية ابن هشام وغيره ، ويفصِّل القول فى ذلك فى أثناء حديثه عن حجَّة الوداع ، قائلا : « ماكان فى كتابنا هذا عن ابن إسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن محمد ابن عبد السلام الخشنى ، عن محمد بن البرقى ، عن ابن هشام ، عن زياد البكَّائى عن محمد بن إسحق . وقراءة منى أيضًا على عبد الله بن محمد بن يوسف ، عن ابن مفرج ، عن ابن الأعرابى ، عن العطاردى ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحق . وقراءة منى أيضًا على عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن عبيد بن عبد الواحد البزار ، عن [أحمد بن] محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحق » . وإذن فهو لم يكتف برواية ابن هشام لكتاب ابن إسحق ، بل ضم إليها رواية يونس بن بكير ، وبمكتبة القرويين بفاس نسخة منها مخطوطة ، وأيضًا فإنه ضم إليها رواية إبراهيم بن

سعد ، وبذلك كان بين يديه ثلاث روايات لكتاب ابن إسحٰق .

ويحدثنا ابن عبد البر فى نفس الموضع أن ما كان فى كتابه عن موسى بن عقبة فقرأه على عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور ، عن قاسم بن أصبغ ، عن مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، عن يعقوب ، عن ابن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ويعقب على ذلك بقوله : « ولى فى ذلك روايات وأسانيد مذكورة فى صدر كتاب الصحابة » وهو يريد كتابه : « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » .وإذا رجعنا إلى فواتحه وجدناه يقول إن ما فيه عن موسى بن عقبة فمن طريقين : أحدهما هذا الطريق الذى ذكره ، وثانيهما عن خلف بن قاسم عن أبى الحسن عن أبى العباس بن محمد بن عبد الغفار يعرف بابن الونّ المصرى ، عن جعفر بن سليمان النوفلى ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامى ، عن محمد بن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ولا يلبث ابن عبد البر أيضًا أن يقول : وحدثنى أيضًا عبد الوارث ، عن قاسم ، عن ابن أبى خيثمة فى كتابه ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة . وفى نفس الموضع يقول ابن عبد البر : « وفى الفهرسة روايتنا لكتاب الواقدى وغيره ، تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره » . والفهرسة سجل أو كتيب صغير ذكر فيه رواياته الكتب عن شيوخه مفيضاً فى أسانيدها المختلفة . وذكر فى فواتح الاستيعاب روايته لكتابى الواقدى : الطبقات والمغازى ، أما الطبقات فقال : « قرأته على أحمد بن قاسم التّاهرتى ، عن محمد بن معاوية القرشى ، عن إبراهيم بن موسى بن جميل ، عن محمد بن سعد كاتب الواقدى ، عن الواقدى » . وأما المغازى فقال : « أخبرنى به خلف عن قاسم ، عن أبى الحسن ، عن أبى العباس بن الونّ ، عن جعفر بن سليمان النوفلى ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامى ، عن الواقدى » .

ويقول ابن عبد البر فى نفس الموضع مكملا حديثه عن مصادر كتابه : « وفى كتاب أبى بكر بن أبى خيثمة – روايتى له عن عبد الوارث ، عن قاسم ، عنه – من ذلك أطراف » . ويقول فى فواتح الاستيعاب : « قرأت جميع كتاب ابن أبى خيثمة على أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان بن حَبْرون ، عن أبى محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف الشيبانى ، عن ابن أبى خيثمة أبى بكر أحمد بن زهير بن حرب » وفى الكتاب أحاديث مختلفة رويت عن ابن أبى خيثمة بالسند المذكور . ويظهر أنه كان له كتاب فى السنن بجانب كتابه التاريخ الكبير فى تعديل الرواة وتجريحهم .

وهذه هى المصادر التى عُنى ابن عبد البر بذكرها . ولا ريب فى أن وراءها مصادر أخرى لم يُعْنَ بإيرادها . من ذلك أنه يروى أكثر الأحاديث فى هذه السيرة عن أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وفيه يقول الحميدى : « رحل إلى العراق وغيرها وسمع إسماعيل بن محمد الصفار ، وأبا بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق المعروف بابن داسة صاحب أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، وأبا بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعى صاحب عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأحمد بن سليمان النجاد ، ومحمد بن عثمان بن ثابت الصيدلانى صاحب إسماعيل القاضى ونحوهم . وحدَّث بالأندلس . روى لنا عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ » . فرواية ابن عبد البر تتصل به بشهادة الحميدى تلميذه ، ونفس الأحاديث والأخبار التى يرويها عنه تتصل مباشرة بابن داسة عن أبى داود السجستانى .

وبجانب ابن عبد المؤمن نجد ابن عبد البر يروى أحاديث وأخبارًا أخرى عن سعيد بن نصر ، وفيه يقول الحميدى : « سمع قاسم بن أصبغ البيانى ومحمد بن معاوية القرشى ... وروى عنه الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر » وسنده فى السيرة يتصل بشيخه قاسم . ونجد أيضًا محمد بن إبراهيم ويقول الحميدى إنه : « يعرف بابن المدمالة ، روى عن محمد بن معاوية القرشى .. وروى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى » وقال : كان من أضبط الناس لكتبه وأفهمهم لمعانى الرواية ، له تأليف جمع فيه كلام يحيى بن معين (المحدث) فى ثلاثين جزءًا أخبرنا به أبو عمر بن عبد البر عنه » وسنده فى السيرة يتصل مباشرة بمحمد بن معاوية القرشى .

وساق ابن عبد البر فى « بعث بئر معونة » حديثًا عن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على وهو أبو عمر الباجى ، وفيه يقول الحميدى : « روى عنه جماعة أكابر أدركنا منهم الفقيه أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الحافظ » ويذكر الحميدى من شيوخ الباجى الحسن بن إسماعيل . وسند الحديث الذى ذكره ابن عبد البر عن الباجى موصول به مباشرة . وذكر مع بعض الأخبار سعيد بن يحيى الأموى ، وكأنَّ كتابه « السِّير » كان أحد مصادره .

وقد يختصر ابن عبد البر سند الحديث والخبر ، فلا يذكر سلسلة رواتهما كاملة ، بل يكتفى بمثل قوله : رُوِىَ عن عبادة بن الصامت ، أو قال ابن شهاب الزهرى أو قال

معمر ، أو ذكر ابن جريج ، أو روى سفيان الثورى ، أو قال أبو داود الطيالسى ، أو قال سنيد ، أو قال وكيع .

٣

توثيق النص وقيمته

ذكر الحميدى فى ترجمته لابن عبد البر أنه صنَّف فيما صنَّف كتاب « الدُّرَر فى اختصار المغازى والسير» وتوالى غير واحد بعده ممن ترجموا لابن عبد البر ذكرونه بين مصنفاته . وقد رأينا فى تضاعيف الكتاب ما يشهد شهادة قاطعة بأنه من تأليفه ، فقد ذكر فيه – كما أسلفنا – طرفًا من أسانيده عن كتب موسى بن عقبة وابن إسحٰق وابن أبى خيثمة ، وأحال مَنْ يريد استكمالها على كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وهى فيه أكثر تفصيلا . وليس هذا هو الموضع الوحيد الذى أحال فيه على الاستيعاب فى الكتاب ، فقد تكررت إحالته عليه ، إذ نجده يذكره فى خطبة الكتاب على نحو ما سنرى عما قليل . وقد توقف عند قول القائلين بأن عليًّا كان أول الناس إيمانًا بالله ورسوله قائلا : « وقد ذكرنا القائلين بذلك والآثار الواردة فى بابه من كتاب الصحابة » . ويذكر فى تسميته مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين خبَّاب بن الأرتّ ، ويقول إنه خزاعى ويقال تميمى ، ويعقب على ذلك بقوله : « وقد ذكرنا الاختلاف فى نسبه وولائه وحلفه فى باب اسمه من كتاب الصحابة » . ويذكر بين من استشهد من المهاجرين فى يوم أُحد عبد الله بن جحش وأنه دفن مع حمزة فى قبر واحد ، ثم يقول : « وقد ذكرنا خبره عند ذكره فى كتاب الصحابة » . ويتحدث عن بَعْث الرجيع وقتل خُبَيْب فيه ، ويقول : « وقد ذكرنا خبره وما لقى بمكة عند ذكر اسمه فى كتاب الصحابة » ويسوق له بيتين قالهما حين قدمه المشركون لِيُصْلَب ويتلوهما بقوله : « فى أبيات قد ذكرتها عند ذكره فى كتاب الصحابة » . وعِدَّتها فيه عشرة أبيات . ويقول فى غزوة فتح مكة : « وأنشد الرسول عمرو بن سالم الشعر الذى ذكرته فى بابه من كتاب الصحابة » . ويذكر فى باب الوفود الحُتات بن يزيد المجاشعى الذى آخى الرسول بينه وبين معاوية ، ويقول : « قد ذكرنا خبره فى بابه من كتاب الصحابة » . ويتحدث عن غَسْل الرسول وتكفينه بعد موته ، ويقول إن شقران مولاه حضرهم « وقد ذكرنا فى صدر كتاب

الصحابة سؤاله فى هذا المعنى » . ولم يُحِل ابن عبد البر على الاستيعاب وحده من كتبه ، فقد أحال أيضًا على كتابه « التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد » إذ عقب على حالات الوحى فى مفتتح الكتاب بقوله : « وقد أشبعنا هذا المعنى فى كتاب التمهيد عند ذكر حديث عائشة رضى الله عنها المذكور » . وتحدث فى خاتمة الكتاب عن صلاة أبى بكر بالناس فى مرض الرسول ﷺ ، وقال : « وقد أوضحنا معانى صلاته فى مرضه بالناس مع أبى بكر ومكان المقدَّم منهما ، وما يصحُّ فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد » . ومرَّ بنا تعقبنا لمن روى عنهم ابن عبد البر الأحاديث والأخبار فى هذه السيرة ممن لم يذكرهم فى أسانيده لكتب ابن عقبة وابن إسحٰق وابن أبى خيثمة ، ورأيناهم جميعًا فى عداد أساتذته الذين روى عنهم ، بشهادة تلميذه الحميدى .

وكل ذلك معناه أن نسبة هذه السيرة إلى ابن عبد البر نسبة وثيقة ، ونراه يقول فى خطبتها أو فاتحتها : « هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبى ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، لأنى ذكرت مولده وحاله فى نشأته وعيونًا من أخباره فى صدر كتابى فى الصحابة ، وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره فى مبعثه وأوقاته ﷺ .. والنَّسَقُ كله على ما رسمه ابن إسحٰق . فذكرت مغازيه وسِيَرَه على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط » .

وواضح من ذلك أن ابن عبد البر قصد فى هذا الكتاب إلى صنع مختصر للسيرة النبوية ، وعبَّر عن مقصده لا فى خطبة الكتاب فحسب ، بل أيضًا فى عنوانه الذى اختاره له ، وكأنما رأى كتب السيرة تحتوى على حشو كثير ، فرأى أن يكتفى بالدرر والفرائد التى تجعل منها خيطًا ممدودًا متصلا . وقد بدأ هذا المختصر بالمبعث وما بعده من المغازى والأحداث ، أما ما قبل ذلك من ولادة الرسول ونسبه ووفاة أبيه وأمه وجده وكفالة أبى طالب ونشأته وأطواره قبل البعثة وزواجه بالسيدة خديجة فقد أجمله فى صدر كتابه : « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وكأنه رأى أن لا داعى لتكرار حديثه عنه . ويقول إنه بَنى الكتاب على ما رسمه ابن إسحق ، والتقاؤه به واضح فى المغازى وتواليها وأسماء مَنْ شاركوا واستشهدوا من المسلمين فيها ومن قُتلوا أو أُسروا من المشركين . وإذا كان قد تابع ابن إسحٰق فى البناء العام فإنه استقلَّ عنه فى كثير من المواضع بما أضاف من كتابى موسى

ابن عقبة وابن أبى خيثمة ، ومن روايات أساتذته الذين سميناهم ، فقد استمد منهم كثيرًا من الأحاديث . وإذا عرفنا أنه كان من كبار الحُفَّاظ للحديث النبوى الذين اشتهروا بالدقة والتحرى والتثبت ، وأنه كان حاذقًا بعلم الأنساب ومعرفة الأصحاب ، وضبط أسمائهم على وجهها الصحيح اتضحت قيمة هذه السيرة ، وهو نفسه يحدثنا أنه لم يكتف إزاء كتاب موسى بن عقبة وسيرة ابن إسحق برواية واحدة ، بل استعان برواياتهما المختلفة على المقارنة والموازنة ، وأضاف إلى ذلك كتابات الواقدى وابن أبى خيثمة وروايات شيوخه للحديث ، ونفذ من كل ذلك إلى وضع سيرة نبوية وثيقة .

وقد يبتدئ بعض فصول الكتاب دون سند ، وكأنه يورد حينئذ ما استقر عليه رأيه بعد طول النظر والفحص والمراجعة والمقارنة . ونراه ينثر بعض آراء له فى جوانب السيرة ، وهى آراء عَلَم من أعلام الفقه والحديث ، ولذلك كان لها وزنها الكبير مهما خالفت ما ذاع واشتهر ، على نحو ما يلقانا فى حديثه عن أوائل السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله ، فقد ذكر من بينهم السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وقيد ذلك بقوله : « وهى صغيرة » وفى ذلك ما يخالف المشهور من أن الرسول ﷺ بنى بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين ، ولابد أنه ثبت عند ابن عبد البر أن السيدة عائشة أسلمت فى أول البعثة أى قبل الهجرة إلى المدينة بنحو ثلاث عشرة سنة ، مما يقتضى أن تكون سِنُّها حين البعثة خمس سنوات على الأقل حتى يصدق عليها أنها كانت من أول الناس إسلاماً ، ويؤيد ذلك ما جاء فى صحيح البخارى فى تفسير سورة اقتربت أى سورة القمر من قول السيدة عائشة رضى الله عنها » لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة – وإنى لجارية ألعب – (بل الساعةُ موعدُهم والساعةُ أَدْهَى وأمرُّ) وهى من آيات سورة القمر التى نزلت فى السنة الخامسة للهجرة ، وتعبيرها بأنها كانت جارية تلعب يفيد أن عمرها لم يكن يقل حينئذ عن نحو عشر سنوات . ومن ذلك أنه ذهب إلى أن فرض صوم رمضان كان فى السنة الأولى للهجرة ، والمشهور أنه كان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة . ومن ذلك ذهابه فى حديثه عن مقاسم خيبر وأموالها أنها فتحت جميعها عنوة ، وقد ناقشه فى ذلك ابن سيد الناس مناقشة طويلة أثبتنا مجملها فى موضعها من الكتاب . ونراه يتوقف عند بعض الأحاديث التى لم تثبت ، ويتّهمها ، من ذلك ما رُوى عن ابن مسعود من أحاديث عن إسلام الجن ، وما جاءَ فى بعضها

من وضوءِ الرسول بالنبيذ ، إذ لم يجد ماء ، فقد قال : « هذا الخبر عن ابن مسعود متواتر عن طرق شتى حسان كلها ، إلا حديث أبي زيد عن ابن مسعود الذى فيه ذكر الوضوء بالنبيذ ، فإن أبا زيد مجهول لا يعرف فى أصحاب ابن مسعود ، ويكفى فى ذكر الجن ما فى سورة الرحمن وسورة (قل أوحى إلىّ أنه استمع نَفرٌ من الجنّ) وما جاءَ فى الأحقاف : قوله : (وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن) الآيات . وهو بذلك يريد التمسك بنص القرآن الكريم دون زيادة عليه . ومما يصور دقته وتحريه قوله فى غزوة بنى المُصْطلق أو المُرَيسِيع : « وفى هذه الغزوة قال أهل الإفك فى عائشة – رضى الله عنها – ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا ، ونزل القرآن ببراءَتها ، ورواية مَنْ روى أن سعد بن معاذ راجع فى ذلك سعد بن عبادة ، وهم وخطأ ، وإنما تراجع فى ذلك سعبد بن عبادة مع أسيد بن حضير . كذلك ذكر ابن إسحقَ عن الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله وغيره ، وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات فى منصرف رسول الله ﷺ من بنى قريظة لا يختلفون فى ذلك ، ولم يدرك غزوة المريسيع . ولا حضرها » .

نحن إذن بإزاء سيرة نبوية محررة ، سيرة لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها ، بل تعتمد أيضًا على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بالدقة فى أسماء الأعلام ، ومع التوقف فى موضع التوقف والنفوذ إلى الرأى السليم ، ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه .

وبلغ من قيمة هذه السيرة وأهميتها فى عصرها أن وضعها ابن حزم تلميذ ابن عبد البر عَلَمًا منصوبًا أمام بصره حين حاول أن يصنِّف سيرته النبوية التى سماها « جوامع السيرة » وقد نُشرت بدار المعارف نشرة جيدة محققة عن نسخة يكثر فيها التصحيف ، كما تكثر سواقط الكلام . ونراه يستهلُّها بقطعة موجزة يتحدث فيها عن نسب رسول الله ﷺ ومولده وسنه ووفاته وأعلام رسالته وحجِّه وعمراته وغزواته وبعوثه وصفته وأسمائه وأمرائه وكتابه وحرسه ومؤذنيه وخطبائه وشعرائه ورسله ودعوته بعضَ الملوك إلى الإسلام ونسائه وأولاده وشيمه وأخلاقه . وهو فى هذه القطعة لا يلتقى بابن عبد البر فى سيرته ، لأنه كما قدمنا لم يعرض لكل ذلك مكتفيًا بما جاء منه فى صدر كتابه « الاستيعاب » غير أننا لا نكاد

نتقدم مع ابن حزم حتى نجده يلتقى مع ابن عبد البر فى أكثر صحفه ، وتنبَّه إلى هذا الالتقاء ناشرو سيرة ابن حزم قائلين :

« وقد أفاد ابن حزم فى كتابه السيرة مما صنعه من قبله شيخه ومعاصره أبو عمر بن عبد البر مؤلف كتاب « الدرر فى اختصار المغازى والسير » ونحن لا نملك من هذا الكتاب صورة كاملة أو وافية تدلنا إلى أى مدى اعتمد عليه ابن حزم ، ولكن النقول القليلة التى احتفظ بها ابن سيِّد الناس من كتاب أبى عمر المذكور تؤكد أن ابن حزم قد نقل عن شيخه نقولا متفرقة فى شىء قليل من التصرف ، إلا أن نفترض أن المؤلِّفَيْن – نعنى ابن عبد البرّ وابنَ حزم – ينقلان عن مصدر ثالث لم يقع إلينا » .

ولو أن ناشرى الكتاب رأوا مخطوطة كتاب ابن عبد البر لجزموا بأن ابن حزم نقل عنه منذ حديثه عن المبعث ص ٤٤ أكثر صحف كتابه مع تصرف قليل هنا وهناك . أما الظن بأنهما ربما نقلا عن مصدر مشترك فيضعفه أن ابن عبد البر عيَّن فى سيرته مصادره التى نفذ من خلالها إلى وضع كتابه ، فى حين لم يذكر ابن حزم فيما التقى به معه مصدرًا واحدًا . وحقا أنه يتابع فى حديثه المفصل عن الغزوات ابن إسحٰق ، سواء فى ترتيبها أو فيما تضمنته من الأحداث ومن أسماء من شاركوا فيها من المسلمين والمشركين وشهداء الأولين وقتلى وأسرى الأخيرين ، غير أنه فى الواقع يتابع فى ذلك ابن عبد البر ، فقد مرَّ بنا ذكره فى تقديمه لكتابه هذه المتابعة . وابن حزم لا يتابع ابن عبد البر فى نسق كتابه وما تضمنه من الأحداث وأسماء الأعلام فحسب ، بل كثيرًا ما يتابعه فى سرد كلامه ناقلا نص عباراته مع شىءٍ من التصرف أحيانًا . وقد يترك النص الذى ينقله عن أستاذه دون أى تصرف . ونراه يتابعه فى كثير من مراجعاته وآرائه ، حتى ليظن من لم يقرأ ابن عبد البر أنها ثمرة اجتهاده ، من ذلك متابعته له فى أن أبا موسى الأشعرى لا يصح أن يُسلَكَ فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، يقول ابن عبد البر : « وقد جاء فى بعض الأثر وقاله بعض أهل السير (انظر ابن إسحق فى السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٤٧) أن أبا موسى الأشعرى كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة وليس كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه مهاجرًا من بلده باليمن يريد المدينة ، فركبوا البحر ، فرمتهم الريح بالسفينة التى كانوا فيها إلى أرض الحبشة . فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر بن أبى طالب » وقارنْ بذلك جوامع السيرة ص ٥٨ .

ومن متابعة ابن حزم لأستاذه ما ذهب إليه من أن الزكاة فُرضت عقب الهجرة ومؤاخاة

الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار (قارنْ بجوامع السيرة ص ٩٧) . وقد تابعه فى ان من شهد بدرًا من المهاجرين كانوا ستة وثمانين رجلا (قارنْ بجوامع السيرة ص ١٢٢) فى حين عدَّهم ابن إسحق فى السيرة ٣٦٤/٢ ثلاثة وثمانين . ومرَّ بنا آنفا نَفْيُ ابن عبد البر لأن تكون قد حدثت مراجعة فى حديث الإفك بين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لموت ابن معاذ قبل الحادث . (قارنْ بجوامع السيرة ص ٢٠٧) .

وهذا التطابق بين سيرة ابن حزم وسيرة ابن عبد البر فى الآراء وسرد الأعلام وعبارات النص جعلتنا نتخذ من أكثرها ما يشبه نسخة ثانية من كتاب ابن عبد البر ، وقد انتفعنا بها فى تصحيح ما جاء فى نسختنا من بعض التصحيفات ومن بعض نواقص الكلام . ولا نشك فى أنه لو كان بأيدى ناشريها مخطوطة كتاب ابن عبد البر لأصلحوا وقوَّموا نص نسختهم التى نشروا منها كتاب ابن حزم فى مواضع كثيرة ، وحقّا بذلوا جهدًا قيمًا فى تقويمه وردّ كثير من سواقطه إلى مواضعها من اتصال الكلام ، ولكن ظلت بقية يهدى إليها كتاب ابن عبد البر ، يتصل بعضها بتصحيف بعض الألفاظ ، وبعضها يتصل بسقوط بعض أسماء الأعلام حين تتوالى متعاقبة ، فمن ذلك ما جاء فى ص ٦٩ عن قدوم بعض الأنصار إلى مكة قبل الهجرة يطلبون الحلف من قريش ، فقد جرت العبارة على هذا النحو : « ثم قدم إلى مكة أبو الحَيْسر أنيس بن رافع فى مائة من قومه » وصحة العبارة فى ابن عبد البر : « وقدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع فى فتية من قومه » وانظر ابن إسحق فى السيرة النبوية لابن هشام ص٦٩ . ونقرأ فى ص٨٨ : « ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام أتيا المدينة وكلما عياش بن أبى ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمتهما » وفى ابن عبد البر : « وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما » وهو تصحيف واضح . وفى نفس الصفحة يسرد ابن حزم عن ابن عبد البر من قدموا المدينة مهاجرين مع عمر بن الخطاب ، ويسقط من كاتب النسخة اسم « إياس وعاقل وعامر وخالد بنو البكير الليثى حلفاء بنى عدى بن كعب » . ويكثر فى سيرة ابن حزم المنشورة ، أو بعبارة أدق فى نسختها التى نُشرت ، سقوط مثل هذه الأسماء المتوالية ويمكن دائماً إكمالها من ابن عبد البر ، ويكفى أن نمثل بمثال ثان فى الصفحة التالية ، إذ جاء فيها : « ونزل حمزة بن المطلب وحليفه أبو مرثد كنَّاز بن حصين الغنوى وزيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم) وصحتها فى ابن عبد البر : «ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أبو مرثد الغنوى وابنه مرثد بن

أبى مرثد، وزيد بن حارثة وأنسة وأبو كبشة موالى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم».
وفى ص١٠٦ أن أباسعيد بن المعلى «سمع رسول الله ﷺ [يأمر] بتحويل القبلة». وقد جُعلت كلمة يأمر بين قوسى الزيادة إشارة إلى أنها سقطت من الأصل ، وفى ابن عبد البر مكانها كلمة يخطب . وفى ص ١١٢ « عرض الرسول على أصحابه (فى وقعة بدر) مصارع رءوس الكفر من قريش مصرعًا مصرعًا ، يقول : هذا مصرع فلان ومصرع فلان فما عَدا واحد منهم مضجعه » . وفى ابن عبد البر مكان مضجعه « مصرعه » . وفى ص ١١٩ « وعامر بن فهيرة .. من مولَّدى الأسد » وفى ابن عبد البر : « من مولدى الأَزْد » . وفى ص ١٣٣ « ومن بنى مِرْضخة وعمرو ابنى غَنْم بن أمية » وصحتها فى ابن عبد البر : « ومن بنى مِرْضخة وهو عمرو بن غَنْم بن أمية » . وفى ص ١٥٦ « أشار رسول الله ﷺ ألا يخرجوا إليهم (إلى المشركين) وأن يتحصنوا بالمدينة فإن قدموا منها قاتلهم على أفواه الأزقة » وصحة العبارة فى ابن عبد البر : « أشار رسول الله ﷺ على أصحابه ألا يخرجوا إليهم وأن يتحصنوا بالمدينة فإن قربوا منها قاتلوهم على أفواه الأزقة » . وفى ص ١٥٨ « وكان فى المشركين يومئذ خمسون فارسًا » وصحتها فى ابن عبد البر « وكان فى المسلمين يومئذ خمسون فارسًا » . وفى ص ١٦١ « وكان قد قُتل أصحاب اللواء من المشركين حتى سقط فرفعته عمرة بنت علقمة » وعبارة ابن عبد البر : « وقُتل صاحب اللواء من المشركين فسقط لواؤهم فرفعته عمرة بنت علقمة » وبذلك تستقيم العبارة والسياق . وفى ص ١٦٥ « وجدوا الأَصيرم وبه رمق يسير فقال بعضهم لبعض : والله إن هذا الأصيرم فأَجابه لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأَمر » وفى ابن عبد البر بدلا من « فأَجابه » « ما جاء به » وبذلك يستقيم الكلام . وفى ص ٢٠٤ « وذلك لشر وقع لبنى جهجاه بن مسعود الغفارى أَجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن وَبر الجُهَنى » وصحة العبارة فى ابن عبد البر « وذلك لشر وقع بين جهجاه.. » . وعلى هذا النحو تصلح سيرة ابن عبد البر بعض عبارات النسخة المنشورة من سيرة ابن حزم فتكمل نواقصها وتصلح ما دخلها من فساد التصحيف والتحريف .

ولعل أهم من خلفوا ابن عبد البر إفادةً من سيرته ابنُ سيِّد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ للهجرة ، فقد جعلها نصب عينيه فى سيرته النبوية المطولة التى سماها « عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » وهى مطبوعة فى مجلدين بالقاهرة ، وفيها ينقل فقرًا وفصولا كثيرة

عن ابن عبد البر مصرحًا باسمه غالباً ، وقد راجعه كثيرًا فى أسماء الأعلام وفى جوانب مختلفة من مادة سيرته وآرائه ، وهو دائمًا ينوه به ، حتى إذا أنهى كتابه وأخذ فى ذكر أسانيد الكتب التى استقى منها سيرته أو كتابه قال : « ما كان فيه عن أبى عمر فمن كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير وهو مما رويته عن والدى – رحمه الله – عن شيخه أبى الحسين محمد بن أحمد بن السراج ، عن خاله أبى بكر بن خير ، عن أبى الحجاج الشنتمرى ، عن أبيه على الغسانى . عنه » . ومعنى ذلك أن نقوله عن سيرة ابن عبد البر مأخوذة عن نسخة منسوبة مسندة تناقل روايتها عن مؤلفها شيوخ ثقات ، مما يرفع من قيمتها ومن درجة توثيقها . ونظن ظنًّا أن نسختنا التى نُعنى بنشرها قد أُخذت عن تلك النسخة التى تحولت من الأندلس إلى مصر مع والد ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن عبد الله الإشبيلى نزيل القاهرة . وقد يكون ابنه كتب منها نسخة لنفسه ذاعت فى الناس أو لعل نسخة أبيه هى التى ذاعت عن طريق تلاميذه المصريين . وإنما يدفعنا إلى هذا الظن أن نصوص نسختنا تتطابق مع نصوص النقول التى اقتبسها ابن سيد الناس من الكتاب ، حتى فيما يبدو فيه الغلط أو التصحيف ، فمن ذلك ما جاء فى خبر دخول بنى هاشم وبنى المطلب فى الشِّعْب ومنابذة قريش لهم إذ وردت هذه العبارة : « ليسلموا رسول الله ﷺ بِرُمَّته إلى قريش » فى نسختنا وكذلك فى ابن سيد الناس ١٢٧/١ والرمة : الحبل ويراد بها هنا العهد ، ويمكن أن تكون مصفحة عن لفظة « بذمته » . وفى نفس الصفحة فى ابن سيد الناس وفى نسختنا : قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم » . وصححت كلمة أحدثتم فى هامش نسختنا بكلمة « أخذتم » وهى أدق منها فى السياق وكأنما حدث فى الكلمة تصحيف .

وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن سيرة ابن عبد البر كثرة مفرطة ، وهى تلقانا منذ مفتتحها وحديثه عن خبر مبعث الرسول ﷺ ، إذ يلتقى به فى كثير من الأحاديث النبوية التى ساقها فى خبر المبعث (قارنْ بابن سيد الناس فى ٨٠/١ وفى مواضع متفرقة) وأيضًا فى كثير من الأحاديث المنثورة فى ثنايا الكتاب . ولا نصل إلى حديث ابن عبد البر عن المجاهرين بالظلم لرسول الله ولكل من آمن به حتى نجد ابن سيد الناس ينقل عنه هذا الحديث فى ١١٠/١ مصرحًا باسمه ، كما ينقل عنه فى ١١٣/١ الفقرة التى خصها بالمستهزئين بالرسول . ولا يلبث ابن عبد البر أن يعقد بابا يذكر فيه الهجرة إلى أرض الحبشة ، ويتابعه

ابن سيد الناس فى العنوان (انظر ١/١١٥) راويًا الحديثَ الذى ساقه فى مستهلِّه وكثيرًا من مادة الباب . ويعقد ابن عبد البر عقب ذلك: « باب ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشعب وما لقوا من سائر قريش فى ذلك » وينقله عنه ابن سيد الناس فى ١/١٢٧ بحذافيره . ويتلوه بفصل عن إسلام الجن وما جاء فيه من أحاديث مسندة إلى ابن مسعود ، وتتحول مادة الفصل كله إلى سيرة ابن سيد الناس فى ١/١٣٦ . ويتحدث عن عرض الرسول الإسلام على قبائل العرب وما كان من اجتماع العقبة الأولى والثانية والثالثة . ويمزج ابن سيد الناس بين مادة كتاب ابن عبد البر وغيره من كتب السيرة . وما يلبث أن ينقل عنه فى ١/١٧٤ الفقرة الخاصة بهجرة عمر بن الخطاب إلى المدينة ، كما ينقل عنه فى ١/١٩٩ مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة وجوانب من مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار . ويخرج ابن عبد البر إلى المغازى فيتابعه غزوة غزوة مقارنًا فى كثير من الأحوال بينه وبين غيره من رواة السيرة سواء فى الأخبار أو فى أسماء الأعلام.ونراه يقف مثله بعد بعث عبد الله بن جحش ، فيتحدث فى ١/٢٣٠ عن صرف القبلة عن البيت المقدس إلى الكعبة موردًا من كتابى ابن عبد البر : « التمهيد » و « الاستذكار » الروايات المتعلقة بالاختلاف فى الصلاة بمكة قبل الهجرة هل كانت إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس ؟ وقد نقل عنه الفصول الخاصة بمن استشهد ببدر من المسلمين ، ومن قُتل وأُسر من كفار قريش فى تلك الموقعة ، مصرحًا بنقله عنه (انظر ١/٢٨٦) ولا يلبث أن يلخص عنه فى ١/٢٩٢ فصلا عقَّب به على تلك الموقعة . وقد لاينقل عنه ، ولكن دائمًا يوازن بينه وبين غيره من رواة السيرة . ودائمًا يرجع إلى كتابه « الاستيعاب » فى موازناته ومراجعاته . وقد نقل عنه فى ٢/١٣٦ الفقرة الخاصة بفتح خيبر عَنْوة ومقاسم أموالها وناقشه مناقشة واسعة . وبهذه النقول الكثيرة عن ابن عبد البر تحولت سيرة ابن سيد الناس فيها إلى ما يشبه نسخة من كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير ، للمقابلة على النسخة التى ننشرها ، وقد أصلحنا بها النص فى غير موضع ورددنا إليه سواقطه وأقمنا ما أدخله الناسخ عليه من بعض التصحيف والتحريف .

٤

وصف مخطوطة الكتاب ومنهجنا فى تحقيقه

لم يكن بين أيدينا من نسخ هذا الكتاب فى تحقيقنا الأول له سوى مخطوطة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٣ تاريخ . ولما كان يُعَدُّ من ذخائر تراثنا العربى النفيسة فقد رأيت تحقيقه معتمدًا على تلك المخطوطة ، وهى تامة وإن كان يبدو أن الورقة الأولى منها التى كانت تحمل عنوان الكتاب فُقدت قديمًا ، ووُضع مكانها ورقة أُخرى كُتب عليها عنوانه على هذا النحو : « كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير للحافظ أبى عمر بن عبد البر النمرى ، رحمه الله تعالى ، آمين » . وكُتب على يسار العنوان بخط محمد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس فى شرح جواهر القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ للهجرة هذه العبارة : « افتداه ، وعلى وقفيَّته أبقاه ، العبد لله ، محمد مرتضى الحسينى ، عُفى عنه ، حامدًا الله ومصليًا ومسلمًا على نبيه ومستغفرًا » . وكُتب أيضًا على صفحة العنوان : « محضر من جامع محرم أفندى الشهير بالكردى ، وأُضيف فى ٥ أكتوبر سنة ١٨٨١ » . وواضح من ذلك أن المخطوطة نقلت إلى دار الكتب المصرية فى التاريخ المذكور من جامع الكردى ، وكان يعرف قبلا بالمدرسة المحمودية التى أنشأها الأستاذ محمود فى شارع قصبة رضوان بالقرب من باب زويلة . ولا نصل إلى الورقة السادسة من الكتاب حتى نجد الناسخ يخطئ فى لقب أبى عمر بن عبد البر فيكتبه أبا عمرو بالواو . ونجد فى الهامش استدراكًا عليه هذا نصه : « هذه الكراريس من كتاب السيرة النبوية للحافظ أبى عمر بن عبد البر ، ولكن ناسخها يجعله أبا عمرو بالواو ، وهو غلط ، فليصلح » . وكتب الزبيدى ، الذى تملك النسخة كما مرَّ بنا آنفًا ، بجانب هذا الاستدراك : « هذا خط الحافظ أبى الخير السخاوى ، رحمه الله . وكتبه محمد مرتضى » . وأبو الخير السخاوى هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب كتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة . وكل هذه شهادات من شأنها أن توثق المخطوطة ، فقد قرأها السخاوى وتملكها الزبيدى .

وقد كُتبت المخطوطة بقلم معتاد ، وهى بخطين مختلفين ، أحدهما خط نسخ واضح

ضُبطت فيه بعض الكلمات بالشكل ، وكُتبت عناوين الفصول والأبواب بالقلم الثلث . والآخر خط معتاد قليل الإعجام خال من الضبط . والعناوين فيه بخط أكبر مما يليها . وعلى الهوامش مراجعات واستدراكات ، مما يدل على أن ناسخها راجعها على الأصل الذى نسخها منه ، وقد صرَّح بذلك فى نهايتها . ويبدو أنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى ، ومرَّ بنا استظهارنا لأن تكون نسخة فرعية للأُم التى نقل عنها ابن سيد الناس نقوله فى كتابه « عيون الأثر » .

وتتردد فى المخطوطة كلمة « قلت » ويليها تعقيبات وتعليقات على كلام ابن عبد البر ، وكثيرًا ما يستضىء صاحبها ببعض ما ذكره السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ للهجرة فى كتابه (الروض الأُنف) فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام مما يقطع بأنه عالم متأخر . وقد أحال كثيرًا على كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، وأحال أيضًا على كتابيه « التمهيد » و « الاستذكار » . وقد يضع مكان كلمة « قلت » كلمة « فائدة » أو « ههنا لطيفة » . وفى مواضع قليلة جدًا ذكر التعليق بدون إشارة تسبقه تدل على أوله ، غير أن تعليقه كان دائمًا يحمل الدلالة على أنه ليس من كلام ابن عبد البر ، بما يتضمن من معارضته له ، وبما ينهيه به من علامات نهايات الاستدراكات كقوله : « يرجع الكلام » أو « عاد الكلام » أو « والله أعلم » أو « والله الموفق » أو « بالله التوفيق » أو « والحمد لله » أو « والحمد لله رب العالمين » . وإحدى اثنتين : إما أن تكون هذه التعليقات كُتبت على هامش الأصل الذى نقلت عنه هذه المخطوطة وأدخلها فيها ناسخها ، أو يكون الناسخ الذى كتبها هو نفس العالم الذى أضاف هذه التعقيبات والمراجعات . وقد أخرجتها جميعًا من الكتاب ووضعتها فى هوامشه مشيرًا إليها دائما بنجوم ، حتى تتميز مما فى الهوامش من تعليقات لى مرقمة . وهى تدل دلالة بينة على أن من كتبها محدِّث بصير بكتب السيرة النبوية وكتب الحديث المختلفة ، وأنه فقيه سنى ، عالم باختلافات الفقهاء وطرقهم فى الاستنباط ، وأنه يتقن العلم باللغة والنحو واختلافات النحاة : سيبويه وغيره فى بعض المسائل ، كما يتقن علوم البيان من المجاز وغير المجاز . وإنما أخرجت مراجعاته وتعليقاته من الكتاب حتى أعيد إليه نسقه وصورته الأصلية .

أما المنهج الذى ترسمته فى تحقيق الكتاب فقد أخذت نفسى فيه ، بمقابلة نصوصه على الأصل الذى استمد منه ابن عبد البر فى المغازى ، وهو سيرة ابن إسحق برواية ابن هشام

المشهورة ، وأفدت كثيرًا من شرحها المسمى باسم الروض الأنف لمؤلفه السهيلى . وقابلت الأحاديث المبثوثة فى الكتاب على صحيح البخارى ومسند أبى داود الطيالسى وصحيح مسلم وسنن أبى داود ومسند ابن حنبل . وعُنيت بمقابلة نصوص الكتاب عامة على الفرعين اللذين استمدا منه ، وأقصد جوامع السيرة لابن حزم ، وعيون الأثر فى المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس . وقد أوضحت – فيما أسلفت – العلاقة بينهما وبينه وكيف أنهما يكادان يشبهان نسختين منه ، نسخة كاملة هى نسخة ابن حزم وقد دخلها شىء من التصرف ، ونسخة ناقصة هى نسخة ابن سيد الناس ، وقد احتفظت بالنصوص التى نقلتْها عن الكتاب على وجهها الدقيق وأدائها الصحيح . وقد قابلتُ أعلام الكتاب وصحة أنسابها وضبطها على كتاب المؤلف « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وأفدت منه فوائد جمة . وكل هذه المقابلات أثبتُّها فى الهوامش ، وأثبت معها بعض الشروح اللغوية وبعض التوضيحات . وذكرت مع كل فصل وباب وفقرة مهمة المراجع التى بسطته أو أجملته من أمهات كتب السيرة والتاريخ والأخبار والحديث مثل مغازى الواقدى وطبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى وتاريخ الطبرى وصحيح البخارى والمحبَّر لابن حبيب والبداية والنهاية لابن كثير ونهاية الأرب للنويرى والسيرة الحلبية وغير ذلك مما يراه القارئ متناثرًا فى الهوامش .

ولم أتخذ فى الكتاب رموزًا من شأنها أن تعقده . وكل ما اتخذته فيه من رموز هو هذه العلامات التى جرى بها الاصطلاح فى النشر والتحقيق :

و : وجه الورقة من مخطوطة دار الكتب المصرية وتتبع رقمها .

ظ : ظهر الورقة من المخطوطة وتتبع رقمها أيضا .

: تدل هذه العلامة على بدء الصفحة التالية فى المخطوطة وتوضع أمام رقمها .

() : وضعنا هذين القوسين دائما حول الآيات القرآنية تمييزًا لها .

[ ] : واتخذنا هاتين الحاصرتين لما سقط من المخطوطة وجلبناه من أصولها أو فروعها أو من مخطوطة الرباط .

والله – وحده – أسأله أن يوفقنى بمنه وكرمه إلى الاقتداء بسيرة خير خلقه وخاتم رسله . إنه ولىّ الطَّوْل والفضل ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

شوقى ضيف

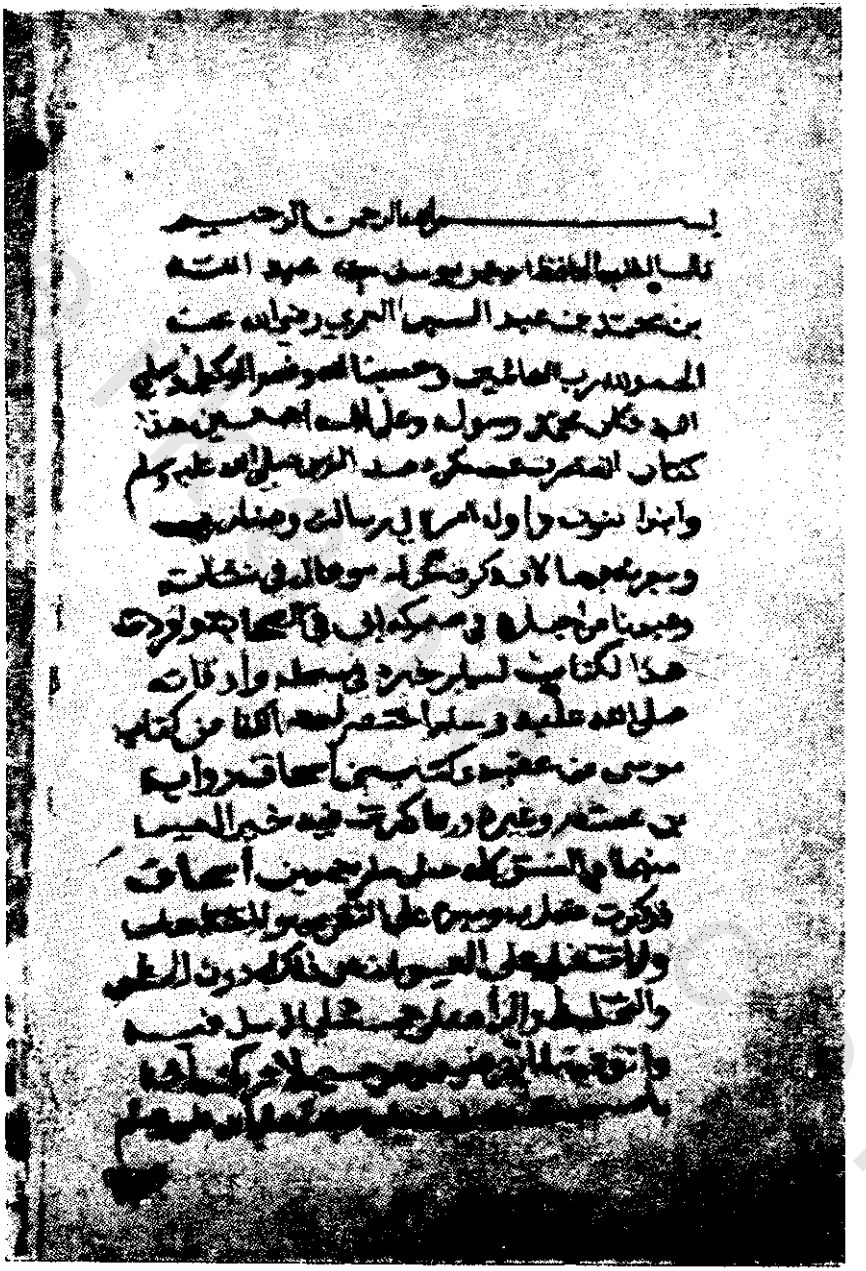

نموذج لظهر الورقة الأولى فى مخطوطة دار الكتب المصرية

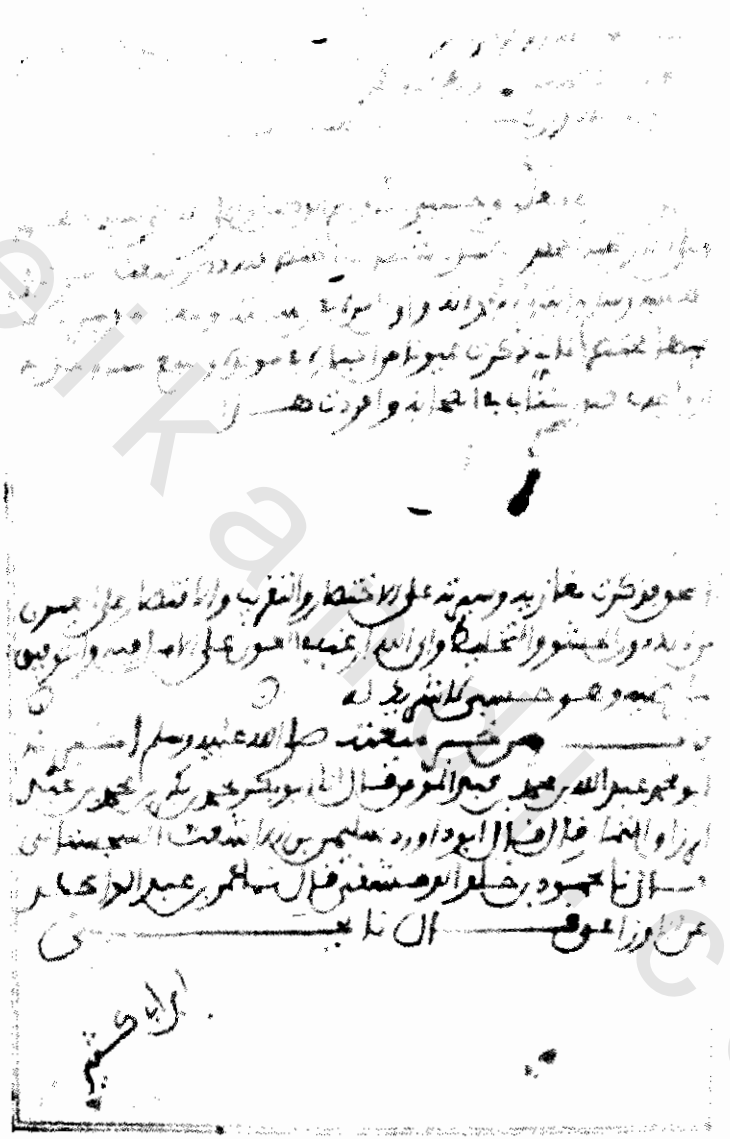

نموذج للصفحة الأولى المصورة عن مخطوطة الرباط

obeikandl.com

/ بسم الله الرحمن الرحيم ١ ظ

[خطبة الكتاب][١]

قال الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَرِى رضى الله عنه[٢] :

الحمد لله رب العالمين ، وحسبُنا[٣] الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد[٤] رسوله وعلى آله[٥] أجمعين . هذا كتاب اختصرت[٦] فيه ذكر مبعث النبى ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها[٧] لأنى ذكرت[٨] مولده وحاله فى نشأته وعيوناً من أخباره فى صدر كتابى فى الصحابة[٩] . وأفردت هذا[١٠] الكتاب لسائر خبره فى مبعثه وأوقاته ﷺ . اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحٰق رواية ابن هشام وغيره ، وربما ذكرت فيه خبرًا ليس منهما . والنَّسق كله على ما رسمه ابن إسحٰق . فذكرت مغازية وسِيَرَه[١١] على التقريب[١٢] والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط ، وإلى الله أرغب [فى العون][١٣] على الأمل فيه ، والتوفيق لما يرضيه ، وهو حسبى لا شريك له .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق وقد استهلت نسخة ر (الرباط) الكتاب هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢) فى ر : رحمه الله ورضى عنه آمين .

(٣) فى ر : وحسبى .

(٤) فى ر : سيدنا محمد .

(٥) فى ر : وعلى آله وصحبه .

(٦) فى ر : أختصر .

(٧) فى ر مختصرا .

(٨) فى ر : لأنى ذكرت عيوناً من أخباره فى مولده ومبلغ سنه وعدد أزواجه .

(٩) يشير إلى كتابه : «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» .

(١٠) هنا فى ر : بياض بقدر ثلاثة أسطر .

(١١) فى ر : سيرته .

(١٢) فى ر : على الاختصار والتقريب والاقتصار .

(١٣) زيادة من ر .